

# جهود المفسرين في القرن الثاني

**وفيه ثلاثة مباحث :**

**المَبْحَث الأَوْل : النشاط الفكري العام وأثره في تفسير القرآن**

## المَبْحَث الثَّانِي : أبرز المفسرين العراقيين في هذا القرن

**المَبْحَث الثَّالِث : دراسة أبرز التفاسير**

المَبْحَث الأَوْل

النشاط الفكري العام

### وأثره في تفسير القرآن

**أولاً ـ النشاط الفكري العام** :

أثرت في الحركة الفكرية في العراق على وجه الخصوص وفي غيره من الدول على وجه العموم جملة عوامل أدت إِلى ازدهار الحركة الفكرية وتطورها ، ومن المتعذر إحصاء جميع هذه العوامل في مبحث واحد ، لسعتها وتنوعها ، ولا ينهض بذلك إلا الدراسات المتخصصة ، لذا سأشير إِلى أهم العوامل التي أدت إِلى تطور الحركة الفكرية في القرن الهجري الثاني .

إن العلوم العقلية من طب ومنطق ورياضيات ونحوها قد بدأت في الأمة الإسلامية منظمة ، لأنها قد عبرت طور المسائل الجزئية من أزمنة بعيدة في أممها كاليونان والهند والفرس ، وكانت قد وصلت إلى مرحلة التنظيم والتبويب ، فلما نقلت في العصر العباسي إلى اللغة العربية نقلت بهيئتها الكاملة ، ولم تحتج إلى أن تمر بالمراحل الأولى من جديد( [[1]](#footnote-0) ) .

ولما كان العراق قطراً غنياً ذا ثروة واسعة كان العيش فه ميسوراً والحياة في جوانبه رغدة ، من أجل هذا كان العمران قد انتشر في كل مكان ، ولا شك أن قطراً هذا شأنه يتيح لسكانه حياة أكثر استقراراً ، ويوفر لهم من الوقت ما ينفقونه في الإقبال على العلوم وتدوينها والكتابة فيها .

ومن الأسباب المهمة التي عملت على تطور الحياة الفكرية وبلوغها غايتها حينذاك استخدامه الورق الذي كانت صناعته مظهراً من مظاهر الحضارة في العصر العباسي الأول ، حيث أنشأ الرشيد مصنعاً للورق ببغداد ، فيسرت هذه الصناعة تأليف الكتب وتداولها ، وسهلت الانتفاع بها ، وكان الناس قبل ذلك يكتبون في الجلود وأوراق البردي المصنوع في مصر ، ولم يكن من السهل الحصول عليها ، لذلك فشت الكتابة في الورق لخفته ، وقد اتسعت صنعة الوراقة لتنافس الناس في نسخ المصنفات الكثيرة ، واقتناء الكتب واتخاذ المكتبات ، وقد أقامت الدولة منذ عصر الرشيد مكتبة ضخمة تضم آلاف الكتب وسمتها دار الحكمة ، وعنيت بتزويدها بالكتب المترجمة التي تحمل كنوز الثقافات الأجنبية ، وقد كانت بمثابة جامعة كبرى يفد إليها طلاب العلم من كل مكان( [[2]](#footnote-1) ) .

وإن كثرة ما يعرض من الحوادث بسبب اتساع القاعدة الحضارية في العراق وما ينشأ عنها من مسائل دفع العلماء والفقهاء إِلى تفريع الفروع وحتى غير المتصور وقوعها آنياً منهم ، وقد أدى هذا إِلى تضخيم العلوم ولاسيما الفقه وكثرة مسائله( [[3]](#footnote-2) ) .

اكتنف نقل العلوم رواية ، أي : عن طريق السماع والمشافهة عدد من السلبيات دفعت بعض العلماء إِلى تدوين المعلومات على أساس شخصي لمساعدة الذاكرة في ضبط المعلومات ، ثم تدرج التدوين بعد ذلك فلم يعدّ شخصياً ، وإنما أصبح المدون عاماً يستعمله أشخاص آخرون غير المدوِّن نفسه ، وتطور الأمر إِلى كتابة الكتب في مواضع شتى ، ولكن عددها ظل محدوداً جداً ، وكان أقدم العلماء الذين صنفوا الكتب في العراق ، من أهل البصرة : معمر بن راشد ( ت 154 هـ ) ، وسعيد بن أبي عروبة ( ت 158 هـ ) ، وحماد بن سلمة ( ت 168 هـ ) وأبو عوانة ( ت 175 هـ ) ، وشعبة بن الحجاج ( ت 160 هـ ) ، ومن أهل الكوفة : ابن أبي زائدة ( ت 149 هـ ) ، وسفيان الثوري ( ت 161 هـ ) ( [[4]](#footnote-3) ) .

وفي عصر التدوين ظهرت المصنفات في الحديث والسير والآثار والفقه ، وتلا ذلك تدوين اللغة وفنونها ووقائع التاريخ ، وترجمة علوم الأوائل بأنواعها : كالرياضيات ، والتاريخ الطبيعي ، والطب ، والفلك ، والفلسفة بأقسامها ، والتصوف ، ودرسوا هذه العلوم واجتهدوا فيها ، ونقدوا ونقحوا ، وأتموا ما كان ناقصًا ، وزادوا على من كان قبلهم .

وكان من سنة العمران وطبيعة الاجتماع في ذلك أن تصير علوم الدين والدنيا كلها فنونًا صناعية ، وأن يختص بكل جنس منها طوائف من الناس للتوسع والنبوغ فيها ، وأن يكون لكل منها تأثير في أنفس النابغين فيه ، قد يعارض غيرهم باختلاف الفهم والقصد من العلم وموضوعه وفائدته ، مما أدى إلى تنمية الملكة الفكرية وتنوع المباحث العلمية( [[5]](#footnote-4) ) .

ومن أسباب ازدهار العلوم وحركة التأليف في العراق ، فضلاً عن تراكم المعارف عند المسلمين الذي امتد قرنين من الزمن ، تأسيس مدينة بغداد وانتقال كثير من العلماء إليها بتشجيع من الخلفاء ، يدل على ذلك كثرة الكتب التي ألفت في موضوعات مختلفة( [[6]](#footnote-5) ) .

**ثانياً ـ جهود العراقيين في علوم القرآن الكريم** :

إن التطور العلمي والفكري في العراق كان كبيراً وإبداعياً ، إذ يلمس الباحث ظهور علوم جديدة في مجالات شتى ، ولاسيما في علوم القرآن الكريم ، وكان للعراقيين شرف إبداعها ونشرها بين المسلمين ، ومن ذلك :

**1 ـ علم العدد** :

والمراد به إحصاء كلمات القرآن الكريم وحروفه وآياته وسوره( [[7]](#footnote-6) ) وأشهر المؤلفات العراقية فيه :

**في الكوفة** :

كتاب العدد لخلف بن هشام البزار ( ت 129 هـ ) .

كتاب العدد لحمزة بن حبيب الزيات ( ت 156 هـ ) .

كتاب العدد لعلي بن حمزة الكسائي ( ت 189 هـ ) .

**في البصرة** :

كتاب العدد للحسن بن أبي الحسن البصري ( ت 110 هـ ) ، وكتاب العدد لعاصم بن الحجاج الجحدري ( ت 128 هـ ) ( [[8]](#footnote-7) ) .

وهذه المؤلفات تعدّ الأساس الذي بنى عليه المؤلفون في علم العدد فيما بعد في العراق .

**2 ـ علم نقاط المصحف** :

بعد أن أرسى العراقيون علم نقط المصحف خطا الخليل بن أحمد الفراهيدي ( ت 175 هـ ) خطوة دفعت علم النقط العربية إِلى الأمام وأعطته صورته النهائية في علوم العربية كلها ، وليس في عالم المصحف الكريم وحده ، ذلك أنه أعطى الحركات المعروفة الآن ( الفتحة والضمة والكسرة ) الصورة النهائية ، ووضع رموزاً للشدة وللهمزة ، وهي قضايا تؤثر تأثيراً بالغاً في صحة النطق( [[9]](#footnote-8) ) .

وتبعه في هذا عراقيون أفذاذ كلهم من أهل البصرة تبعهم كل العالم الإسلامي باتفاق أهل العلم ، قال أبو حاتم سهل بن مُحَمَّد ( ت 255 هـ ) " والنَّقْطُ لأهل البصرة أخذه الناس كلهم عنهم ، حتى أهل المدينة ، وكانوا ينقطون على غير هذا النقط ، فتركوه ونقطوا نقط أهل البصرة "( [[10]](#footnote-9) ) .

وعلقّ على ذلك أبو عمرو الداني بقوله : " هذا الذي قاله أبو حاتم من أن أهل المدينة أخذوا النقط عن أهل البصرة صحيح ... ثم أخذ عن أهل المدينة عامة أهل المغرب من الأندلسيين وغيرهم ونقطوا به مصاحفهم"( [[11]](#footnote-10) ) .

وأول من ألّف كتاباً في النَّقْطِ والشَّكْلِ : الخليل بن أحمد الفراهيدي ثم صنف بعد ذلك جماعة من النحويين والمقرئين " وسلكوا فيه طريقه ، واتّبعوا سنّـته ، واقتدوّا بمذهبه "( [[12]](#footnote-11) ) .

وقد مرّ تنقيط المصحف بأربع خطوات :

1. نقط الإعراب الذي قام به أبو الأسود الدؤلي .
2. نقط الإعجام ، أي : إزالة اللبس ، وقام بها نصر بن عاصم ، إذ مّيز بين الأحرف المتشابهة في الرسم كالباء والتاء والثاء ، والعين والغين والسين والشين ، بوضع النقط .
3. وضع الحركات الثلاث : الفتحة والضمة والكسرة بدلاً من النقط ، وقد قام بها الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وبذلك قلل من عدد النقط في الخط ، واستعاض عنها بصور أو علامات يسهل تمييزها .
4. وضع علامات لضوابط القراءة ، وهي الشدة ، والمدة ، وعلامة الوصل ، وعلامة السكون ، وقد وضعها الفراهيدي أَيْضًا( [[13]](#footnote-12) ) .

**3 ـ** **علم رسم المصحف ، أو هجاء المصحف** ، **أو رسم خط التنزيل** :

وهو العلم بقواعد رسم خط المصحف الإِمَام الذي كتبه الصحابة بأمر عثمان بن عفان ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ـ( [[14]](#footnote-13) ) .

وأشهر العلماء العراقيين الذين أسهموا في هجاء المصحف :

علي بن حمزة الكسائي ( ت 189 هـ ) في كتابه ( مقطوع القرآن وموصوله ) وكتابه ( مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة ) ، وكتاب ( الهجاء ) ( [[15]](#footnote-14) ) .

**4 ـ علم القراءات** :

شهد القرن الثاني الهجري ظهور كتب القراءات الجامعة ، وهي الكتب التي تجمع أكثر من قراءة ، لكنها لا تشير إِلى عدد معين من القراء بل تحمل عنواناً مطلقاً ، وجلّها يحمل عنوان القراءات .

وأشهر الكتب التي حملت عنوان القراءات في القرن الثاني : كتاب القراءات للمقرئ المشهور عَبْداللَّهِ بن عامر ( ت 118 هـ ) ، وكتاب القراءات للعباس بن الفضل الواقفي الأنصاري ( ت 186 هـ ) ، وقد قرئ هذا الكتاب على ابن عدي . قال ابن عدي : " قرأ علينا إبراهيم بن عليّ العمري بالموصل عن عبد الغفار بن عبد الله الموصلي ، عن العباس بن الفضل الأنصاري قراءاته التي صنفها بكتاب كبير وفيه حديث صالح مما يرويه ، وقد أنكرت في رواياته أحاديث معدودة وهو مع ضعفه يكتب حديثه "( [[16]](#footnote-15) ) .

وكتاب القراءات لأبي عمرو بن العلاء البصري( ت 154 هـ ) ، وكتاب القراءات للكسائي ( ت 189 هـ ) و ( اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة ) ، و ( الآثار في القراءات ) ، وكتاب القراءات لأبان بن تغلب الكوفي ( ت 141 هـ ) ( [[17]](#footnote-16) ) .

**5 ـ علم التجويد** :

تقدم في ما سبق أن عَبْد اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ أسس مدرسة التجويد في العراق ، وأن من أشهر تلامذة هذه المدرسة في هذا القرن :

حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي ( ت 180 هـ ) ، وشعبة بن عياش ، أبو بكر الحنّاط الأسدي النهشلي الكوفي ( ت 193 هـ ) ، وقد قال يحيى بن معين : " الرواية الصحيحة التي رويت عن قراءة عاصم رواية حفص بن سليمان " . ورواية حفص عن عاصم هي المأخوذ بها ، وبها طبع المصحف الذي نقرأ به في الأقطار العربية ( عدا المغرب العربي ) وجلّ أقطار العالم الإسلامي( [[18]](#footnote-17) ) .

**6 ـ علم الوقف والابتداء :**

في القرن الثاني الهجري ألف القراء في الوقف والابتداء ، وأول من ألف فيه في هذا القرن ضرار بن صرد ، ( ت 129 هـ ) ، وهو من قراء الكوفة ، روى عن الكسائي ، وعن يحيى بن آدم . وتبعه المقرئ الكوفي المعروف حمزة بن حبيب الزيات ( ت 156 هـ ) ، وهو من القراء السبعة( [[19]](#footnote-18) ) .

كتاب وقف التمام **،** لنافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم القارئ المدني أحد القرَّاء السبعة ( ت 169 هـ ) ، والكتاب ذكره ابن النديم( [[20]](#footnote-19) )

كتاب الوقف والابتداء الكبير والوقف والابتداء الصغير ، لمحمد بن أبي سارة الكـوفي الـرؤاسي أبي جعفر النحوي ( ت 187 هـ ) ، قال ثعلب : " كان الرؤاسي أستاذ الكسائي والفراء( [[21]](#footnote-20) ) . وقال ابن النديم : " وهو أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو "( [[22]](#footnote-21) ) .

**7 ـ علم متشابه القرآن :**

يعدّ هذا العلم من ميادين البحث الشائكة وقد تحاشاه كثير من الباحثين في حين وقف منه بعض أهل الأهواء موقف التأويل البعيد ، فذهبوا مذاهب بعيدة في التأويل ليوافق أهواءهم ، ولذلك يحتاج الباحث في هذا العلم إِلى أن يكون دقيقاً وموضوعياً إِلى أقصى درجات الالتزام المنهجي( [[23]](#footnote-22) ) .

والكتب التي ألفت في متشابه القرآن في القرون الأربعة الهجرية الأولى ، أغلب مؤلفيها عراقيون ، وهي :

متشابه القرآن ، لمقاتل بن سليمان البلخي ( ت 150 هـ ) ، ومتشابه القرآن ، لحمزة بن حبيب الزيات الكوفي ( ت 158 هـ ) ( [[24]](#footnote-23) ) .

من هذا العرض نرى أن الظروف الثقافية والفكرية كانت جد مناسبة للعلماء العراقيين من أجل التميز والإبداع ، ولاسيما في تفسير القرآن الكريم .

**8 ـ تقييد الأمثلة :**

لأبى عمرو بن العلاء التميمي المازني البصري ( ت 154 هـ ) ، وهو أحد القرَّاء السبعة كتاب ( تقييد الأمثلة ) توجد منه نسخة في الخزانة العامة في الرباط/ المغرب برقم د - 1371 ضمن مجموع من ورقة 208 أ – 223 ب( [[25]](#footnote-24) ) . ونسخة أخرى في الخزانة العلمية الصبيحية برقم 9/254 تقع في (17) صفحة بخط مغربي نسخي مدموج ملون( [[26]](#footnote-25) ) .

1. ( ) يُنْظَرُ : ضحى الإسلام ، لأحمد أمين ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998م : 2/15 . [↑](#footnote-ref-0)
2. ( ) يُنْظَرُ : ضحى الإسلام : 2 / 15 ، والعصر العباسي الأول ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، بلا تاريخ : 103 . [↑](#footnote-ref-1)
3. ( ) يُنْظَرُ : النشاط الفكري في العراق ، للدكتور هاشم يحيى الملاح ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1983 : 58. [↑](#footnote-ref-2)
4. ( ) يُنْظَرُ : النشاط الفكري في العراق : 60. [↑](#footnote-ref-3)
5. ( ) يُنْظَرُ : مقالة للسيد مُحَمَّد رشيد رضا ، مجلة المنار ، المجلد 35 ، العدد 1 ، ربيع الأول 1354هـ يوليو 1935م : 2 . [↑](#footnote-ref-4)
6. ( ) يُنْظَرُ : النشاط الفكري في العراق : 61 ـ 62 . [↑](#footnote-ref-5)
7. ( ) يُنْظَرُ : بصائر ذوي التمييز ، لأبي الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الصديقي الشيرازي ، ( ت 817هـ ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، القاهرة ، 1964هـ ـ 1969م : 1/324 . [↑](#footnote-ref-6)
8. ( ) يُنْظَرُ : الفِهْرِسْت : 56 . [↑](#footnote-ref-7)
9. ( ) يُنْظَرُ : ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بـ( تاريخ ابن خلدون ) ، لعبدالرحمن بن مُحَمَّد بن خلدون الحضرمي ، ( ت 808 هـ ) دَار القلم ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ : 2/ 120 ، وأبجد الْعُلُوم الوشي المرقوم فِي بيان أَحْوَال الْعُلُوم ، لأبي الطيب صديق بن حسن القنوجي ، ( ت 1307هـ ) ، تحقيق : عَبْد الجبار زكار ، دَار الكتب العلمية ، بَيْرُوْت ، 1978م : 2/471 ، وتطور كتابة المصحف الشريف وطباعته ، للدكتور محمد سالم بن شديد العوفي ، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، بلا تاريخ : 5 . [↑](#footnote-ref-8)
10. ( ) المحكم فِي نقط المصاحف : 7 . [↑](#footnote-ref-9)
11. ( ) الْمَصْدَر نَفسُه : 7 . [↑](#footnote-ref-10)
12. ( ) الْمَصْدَر نَفسُه : 9 . [↑](#footnote-ref-11)
13. ( ) يُنْظَرُ : تاريخ ابن خلدون : 2/ 120 ، وأبجد الْعُلُوم : 2/471 ، وتطور كتابة المصحف : 5 . [↑](#footnote-ref-12)
14. ( ) يُنْظَرُ : وعناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم ، للدكتور أحمد بن محمد الخراط ، مكتبة دار الإسلام ، السعودية ، بلا تاريخ : 77 . [↑](#footnote-ref-13)
15. ( ) يُنْظَرُ : الفِهْرِسْت : 39 ، و نزهة الألباء ، لكمال الدين عبدالرحمن بن مُحَمَّد الأنباري ، ( ت 577 هـ ) ، تحقيق : مُحَمَّد أبي الفضل إبْرَاهِيم . مطبعة المدني ، مصر ، 1294 هـ : 1/29 ، وغاية النِّهَايَة : 1/241 ، ومعرفة القراء الكبار : 1/127 . [↑](#footnote-ref-14)
16. ( ) الكامل فِي ضعفاء الرجال ، لأبي أَحْمَد عبدالله بن عدي بن عبدالله بن مُحَمَّد الجرجاني ، ( ت 365 هـ ) ، تحقيق : يحيى مُخْتَار غزاوي ، دَار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، ط3 ، 1409 هـ ـ 1988م : 5/ 4 . [↑](#footnote-ref-15)
17. ( ) يُنْظَرُ : الفِهْرِسْت : 47 ـ 48 ، وتاريخ بغداد : 11/ 403 ، وكشف الظنون : 2/1148 ـ 1449 [↑](#footnote-ref-16)
18. ( ) يُنْظَرُ : السبعة في القراءات : 1/95 ، وغاية النهاية : 1/144 ، ومعرفة القراء الكبار : 1/88 ، ومناهل العرفان : 1/317 . [↑](#footnote-ref-17)
19. ( ) يُنْظَرُ : الفهرست : 44 ، ومعرفة القراء الكبار : 1/112 ، 139 ، والإتقان فِي علوم الْقُرْآن : 1/183 . [↑](#footnote-ref-18)
20. ( ) يُنْظَرُ : الفهرست : 39 . [↑](#footnote-ref-19)
21. ( ) يُنْظَرُ : الفِهْرِسْت : 71 ، و بُغْيَة الوُعَاة فِي طبقات اللغويين والنُّحَاة ، لجلال الدِّين عبدالرحمن السُّيُوطي ، ( ت 911هـ ) ، تحقيق : مُحَمَّد أَبِي الْفَضْل إبْرَاهِيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط1 مصر ، 1964م : 109 ، وكَشْف الظُّنُونُ : 2/ 1470، والأعلام للزركلي : 6/ 271 . [↑](#footnote-ref-20)
22. ( ) الفِهْرِسْت : 71 . [↑](#footnote-ref-21)
23. ( ) يُنْظَرُ : أبجد العلوم : 2/748 . [↑](#footnote-ref-22)
24. ( ) يُنْظَرُ : كَشْف الظُّنُونُ : 2/748 . [↑](#footnote-ref-23)
25. ( ) يُنْظَرُ : الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت ، عمان 1986م : 1/ 7. [↑](#footnote-ref-24)
26. ( ) يُنْظَرُ : فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا. د. محمد حجي منشورات معهد المخطوطات العربية الكويت ، ط 1 ، 1406 هـ : 44 . [↑](#footnote-ref-25)